أطياف نورانية في رحاب الزاوية المحجوبية

"الشيخ يوسف بن علي الجعراني أنموذجاً"

أ.د: نصرالدين البشير العربي/جامعة المرقب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين.

في ليبيا بلدنا الجميل ثلة من الجهابذة الذين أدوا رسالتهم على أكمل وجه، فكانوا نبراساً يستضاء بهم في كل زمان ومكان، نماذج يقتدى بها في وقت تفتقد القدوة الصالحة، والكلمة الجريئة والمجابهة الصريحة في سبيل إعلاء كلمة الله، ومن هؤلاء العلماء العاملين الشيخ يوسف بن علي الجعراني أحد طلاب الشيخ الجليل إبراهيم المحجوب، الذي سنتحدث في هذه المداخلة الجامعة لمقتطفات من سيرته العطرة، وشذرات من ترجمته القيمة، وهو شيخ الشيوخ، وقطب ذوي الرسوخ، فمن هو يوسف الجعراني؟ وما هي العلاقة التي ربطته بالشيخ إبراهيم المحجوب؟.

- **اسمه ونسبه:**

ورد اسمه في كتاب: (من تاريخ الثقافة في ليبيا) لمختار الهادي بن يونس هكذا "الشيخ يوسف بن علي الجعراني"، الذي يرجع نسبه إلى بلدة جعرانة[1] بالمغرب الأقصى استقر به المقام ببلدة مسلاتة (بالقصبات)[2] إلى أن توفى ودفن بها، والذي لم نهتد إلى معلومات وافرة حول سنة ميلاده بالتحديد، وغاية ما وقفنا عليه من أمره أنه جاء زمن الشيخ أبو إسحاق إبراهيم المحجوب[3] القاطن ببلدة مصراته، والمدفون بها الذي درس عليه وتكون

---

1 - بلد بالمغرب الأقصى اسمها جعرانة وبالتحديد من الساقية الحمراء ووادي الذهب.

2 -القصبات: مركز المدينة (مسلاتة) التجاري والاقتصادي الذي يوفر الخدمات الاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية، ويتوافد عليه السكان من القرى المجاورة له لما يوفره من خدمات؛ للمزيد انظر: عبدالحكيم مفتاح عومر، مسلاتة في المجالين المدني والريفي، رسالة ماجستير، الجامعة اللبنانية، 2000م، ص25.

3 -هو أبو إسحاق "إبراهيم"، ابنالسيد أبي علي "إسماعيل"، ويقال له: "محمد"، (م. 625ه)، ابن السيد "يحي" الكامل، الملقب ب"المحجوب"،(م. 592ه)، جد السادة المحاجيب ابن السيد: عبدالله (م.559ه)، ابن السيد: عبدالقادر، المولود بين عامي(520- 526ه)، بمدينة "كومبي صالح"عاصمة مملكة غانا قديماً الواقعة بالجنوب الشرقي في موريتانيا، ابن السيد: موسى (م.493ه)، حاكم غانا بين عامي : (533- 553ه)، ابن السيد:هلال الدمشقي، حاكم مملكة غانة بين عامي: (493- 513ه)، ابن السيد: حبيب الله الكناني، حاكم غانة بين عامي: (480- 483ه)، ابن السيدعبدالله "الشريف كان الأول"،

به، وحفظ القرآن الكريم علي يديه، ومولد الشيخ إبراهيم المحجوب في الثلث الأخير من القرن السابع الهجري، وفائدة هذا التقييد تظهر لنا التقارب في العمر، بالاضافة إلى ما استفدناه من ذكر الدكتور محمد المغربي، والأستاذ امحمد المجري في كتابهم الموسوم ب:" زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب العلمية التأريخ والأصالة في ذكرهم: (بأنه كان حياً حتى سنة 820ه)[1]، وكذلك غاية ما انتهينا إليه من أخباره من خلال الروايات الشفوية المتوارثة بين أهل مسلاتة حول مجيئه إلى ليبيا واستقراره ببلدة مسلاته:"... أنه كان يقود ركب الحجيج المغربي من فأس بالمغرب إلى الحرمين الشريفين كشيخ الركب، وكان من ضمن الركب الشيخ أحمد زروق[2]، والشيخ المحجوب، حيث أقام فترة بمصراته ظل يتردد خلالها على الشيخ أبي إسحاق إبراهيم المحجوب)[3].

ينتسب آل الجعراني إلى آل البيت الشريف من جهة أم الأب، أي أنهم أشراف[4]، ويذكر جمال الجعراني: أن مجيء الشيخ علي بن يوسف الجعراني، وهو والد الشيخ يوسف

حاكم غانة حتى عام: (479ه)، (ت: 480ه)، ابن السيد : هذيم، ابن السيد: مسلم، ابن السيد زيد، ابن السيد: أبي الضحاك عبدالله، ابن السيد: الحسن "الشهيد قتيل جهينة"، ابن السيد: عبدالله "الشهيد"، ابن السيد "محمد" الشاعر، الشهيد" ابن السيد: صالح " الشاعر، الجوال، الأعور"، الذي خرج على المأمون بخرسان، وتوفى بالمدينة في خلافة المأمون، ابن السيد: عبدالله، ابن السيد: موسى "الثاني": (ت: 256ه)، ابن السيد: أبي عبدالله موسى الجون "الأول": (ت 180ه)، ابن السيد:عبدالله الكامل المحض"شيبة الحمد": (ت:145ه)ابن السيد:الحسن المثنى المحض: (ت:90ه)، ابن السيد: الحسن السبط: (ت:50ه)، ابن السيد: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (ت:40ه)، وفاطمة الزهراء : (11ه)، رضي الله عنهما، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. للمزيد انظر: أحمد مصباح المغربي، و امحمد الصغير المجري، زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب العلمية التأريخ والأصالة – من التأسيس حتى منتصف القرن العشرين، دراسة وصفية تاريخية، غير منشور، ص19-20.

1 - أحمد مصباح المغربي، وامحمد الصغير المجري، مرجع سابق، ص 127.

2 - هو الإمام العلامة الفقيه أحمد بن محمد بن عيسى الفاسي الأصل، الطرابلسي المولد والمنشأ والوفاة، عرف بنفسه وأحواله وشيوخه في كناشة. للمزيد انظر: محمد مسعود جبران، علي الفقيه حسن – 1898-1985م دراسة في جهوده العلمية والسياسية مع جمع آثاره العلمية المتبقية، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،2005م، ص 144.

3 -ورقة خطية غير منشورة بمكتبة جمال الجعراني وهو سليل أسرة آل الجعراني بمسلاتة، وله اهتمامات بنسب العائلة، غير منشورة.. ولربما المقصود بالإقامة بمدينة مصراته وتردده على الشيخ إبراهيم المحجوب أنه كان يقرأ عليه ويحفظ القرآن الكريم وهذا الراجح.

4 - المصدر السابق نفسه.

بن علي الجعراني إلى ليبيا واستقراره بمسلاتة كان خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري، وهو من معاصري الشيخ أحمد زروق[1].

أسس الشيخ يوسف الجعراني بعد عودته إلى مسلاتة من مدينة مصراته وإنهاء دراسته على يد الشيخ إبراهيم المحجوب جامع خاص سمي بجامع (الثوابت) بمقر سكناه بقبيلة الجعاريين[2] على نفقته الخاصة، دون تحديد تاريخ دقيق ومحدد لبنائه وقال الشيخ عمران كشيدان حول بنائه وتأسيسه لجامع الثوابت:"إنما على الأرجح أن عملية البناء والتأسيس تمت خلال بداية القرن الثامن الهجري"[3] ويعتبر من أولى الجوامع التي شيدت لتحصيل العلوم القرآنية والإسلامية بقبيلة الجعاريين، وكان الشيخ يوسف الجعراني ممن تصدر للإسهام في التدريس بهذا الجامع، حيث انهال عليه الطلاب من كل حدب وصوب للاستسقاء من نميره العذب، وكانت له شخصيته المميزة وبرنامجه التعليمي الهادف في توجيه انظار الناس إلى طلب العلم والتفقه في الدين، وكان من أبرز المشايخ الذين درسوا فيه الشيخ محمد صريهيد الشريف الجعراني، وخلفه ابنه الشيخ العالم أحمد بن محمد صريهيد الشريف الجعراني[4]، ومن أبرز الطلاب الدين درسوا عليه وحفظوا القرآن الكريم، وعلوم الشريعة الشيخ محمد الجعراني بن محمد بن عمر صريهيد، وهو ابن عم الشيخ أحمد صريهيد وغيرهم كثر.

---

1 - المصدر السابق نفسه.

2 قبيلة الجعارين ترجع أصولها التاريخية إلى بلد بالمغرب الأقصى اسمها جعرانة وبالتحديد من الساقية الحمراء ووادي الذهب، وذلك نسبة إلى مؤسسها الشيخ يوسف بن علي الجعراني، نزيل مسلاته الذي قدم إلى مسلاته من المغرب الأقصى فترة اشتداد نفوذ الإفرنجة على المغرب في القرن التاسع الهجري واستقر بمنطقة مسلاته وبالتحديد بالقصبات على تخوم جبل القلعة، وسكن بالقبيلة التي تسمت بلقبه دون غيره، وهي قبيلة الجعارين التي لازالت إلى يومنا هذا تسمى بهذا الاسم ومن أبرز الفقهاء والمدرسين الذين قاموا بتدريس القرآن الكريم في هذه الزاوية منذ تأسيسها الفقيه الطبولي الورفلي، والفقيه مفتاح الدبار المسلاتي، والفقيه أحمد أبو حجر الزليتني، كما عملت هذه الزاوية على تدريس فروع العلم الأخرى المتمثلة في الفقه والحديث واللغة وغيرها، للمزيد، انظر: ورقة خطية من إعداد فضيلة الشيخ عبد الله سالم كشيدان.

3 - مقابلة أجراها الباحث مع فضيلة الشيخ عمران كشيدان، بتاريخ 2022/1/2م، بقرية الجعاريين بمسلاتة.

4 - الشيخ أحمد صريهيد المسلاتي: من العلماء المتميزين في وقته وزمانه، وكان من أكبر الموثقين ومن أصحاب الفتاوي الشرعية الرصينة. للمزيد انظر: غيث عبدالله العربي، مسلاتة في العهد العثماني الثاني، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2010م، هامش رقم 1، ص 153.

- **شيوخه:**

أن زمن تحصيل الشيخ يوسف بن علي الجعراني -كما علمنا- هي مرحلة واحدة في بلدة مصراته، وهي المرحلة التي سبقت عودته إلى مسلاتة، والتي دامت كما تبين من خلال الرواية المتواترة فترة من الزمن، وأغلب الظن أن الشيخ يوسف قد مضى إلى مصراته في سن مبكرة، ولازم شيخه إبراهيم المحجوب، فكان يجد فيه شيخه ومثله الأعلى، ونموذجه الذي يحتدى به، والذي أذهب إليه أنه كان قد درس في هذه المرحلة - أعني مرحلة تعلمه في مصراته- حفظ القرآن الكريم بزاوية المحجوب العلمية[1] على يدي شيخه إبراهيم المحجوب، ولا يوجد تفصيل ووضوح حول من درسه غير الشيخ إبراهيم المحجوب، حيث لم يتعرض معظم من عاصره وترجم له إلى ذكر غيره. ولم تكن له رحلة إلى الخارج لطلب العلم، وإنما اقتصر في طلب العلم على علماء بلده بزاوية المحجوب العلمية[2].

عاد بعدها الشيخ يوسف بن علي الجعراني أدراجه إلى مدينة مسلاتة، وتحديداً بقبيلة الجعاريين، واستقر به المقام بمسجده الذي أسسه (جامع التوابث) وتصدر تدريس القرآن الكريم والعلوم الشرعية والإمامة والخطابة، وكان له إلمام بعلوم القرآن واللسان.

شرح القرطبية والأجرومية ونظمها نظما بديعا. وذكر في المنهل العذب أن له قصائد ولم يذكر شيئا منها، كان موجودا سنة 820ه، مدفون بقرية الجعاريين وقبره معروف[3].

---

1 - من الزوايا العلمية التي اشتهرت في ليبيا، زاوية الشيخ إبراهيم ابن إسماعيل بن يحى المحجوب الحسني، والتي يرجع تاريخ تأسيسها إلى سنة 742ه، الموافق 1341م حيث وصل مؤسسها إلى هذه المنطقة عن طريق هجرة عكسية من المغرب الأقصى، فهي تنسب إليه، وتسمى باسمه، وهي من الزوايا المشهورة ، تقع في الناحية الغربية من مدينة مصراتة، وتبعد عن مركز المدينة قرابة ثلاثة عشر كيلو متر ، يحدها قبلة: (جهة الشرق) محلة سيدي امبارك، وسلسلة رمال الشراكسة، وشرقاً: (جهة الشمال) البحر، وبحرا⊗جهة الغرب) منطقة أبي راوية والدافنية، وغرباً: (جهة الجنوب) مزرعة السويحلي بالدافنية، وهي قرية يغلب عليهاقديماً الطابع الريفي القروي. للمزيد انظر: أحمد مصباح المغربي، و احمد الصغير المجري، زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب العلمية التأريخ والأصالة - من التأسيس حتى منتصف القرن العشرين، دراسة وصفية تاريخية، مرجع سابق، ص29.

2 - مقابلة شفوية أجراها الباحث مع فضيلة الشيخ عمران كشيدان، مصدر سابق.

3 - الطاهر أحمد الزاوي، أعلام ليبيا، مكتبة الفرجاني، طرابلس، 1961م، ص363- 364.

- **قرضه للشعر:**

اسهم الشيخ يوسف الجعراني بإنتاجه في رياض الشعر المزهرة الخصبة، وجادت سجيته ببعض القصائد القصار والطوال والنتف في بعض المناسبات، وكان من أشهرها قصيدته: (للتذكير بالمصير المحتوم وفراق الدنيا): وتحتوي على 32 بيت من الشعر نظماً وهذه بعض أبياتها نوردها للتمثيل فقط[1]:

سلام الله أحبابي عليكم* وإن طال الزمان فتلحقوني**

ألا يا نفس ويحك حدثيني * حديثاً صادقاً لا تكذبيني**

أليس الموت محتوماً عليك * ولو عمرت ألف من السنين**

لو عمرت فيك عمر نوح * لكان الموت قطعاً للأنيني**

- **وفاته:**

من الحق أن نقول إنه لم تصلنا معلومات دقيقة ومفصلة حول تاريخ وفاته، وأغلب الظن أنه توفى بعد سنة 820ه، وكذلك يمكننا القول أنه من زمن الشيخ إبراهيم المحجوب، والشيخ أحمد زروق، والشيخ عبدالواحد الدوكالي، وغيرهم من العلماء المغاربة الذين ارتحلوا إلى ليبيا واستقروا بها، وقبر الشيخ يوسف الجعراني موجود بالقرب من زاويته التي، أسست بعد وفاته بمقر المدينة بالقصبات بقرية الجعاريين أحد الأحياء المعروفة بمسلاتة، وذلك سنة 1270ه الموافق 1854م تقريباً، على نفقة ذاتية وبمجهود ذاتي من أهل قبيلة الجعاريين، وذلك بناء على رأي من شيخ قبيلتها في ذلك الوقت، وهو الشيخ عمر بن حسن كشيدان، لتكون زاوية تابعة لضريح الشيخ يوسف بن علي الجعراني، واستمرت في تحفيظ القرآن الكريم وعلومه إلى يومنا هذا[2].

ونختم القول في ترجمته ومسيرة حياته وصدى نعيه – رحمه الله بقول الشاعر في رثاء أحد العلماء الفضلاء من أمثاله:

---

1 - ورقة خطية بمكتبة جمال الجعراني، غير منشورة، مصدر سابق.

2 - سبق لأستاذنا عبدالله سالم كشيدان أن كتب ورقية خطية حول شخصية الشيخ يوسف بن علي الجعراني، قدم فيها معلومات قيمة حول شخصيته.

وقالوا الإمام قضى نحبه * وصيحة من قد نعاه علت**

فقلت فما واحد قد مضى * ولكنّه أمّة قد خلت**

رحمه الله تعالى وغفر له، وستره وعامله بمحض فضله وجوده، ورضاه، وجعل دار السلام نزله ومأواه، وأسبغ الله الجواد المحسن عليه حلل الجنان الواسعة، وأسال الله له القبول والرحمة، وتكرم عليه بسكنى فراديس الجنة إنه عظيم النعمة والمنه.

الخاتمة

قدمت في هذه المداخلة المتواضعة عرضاً تاريخياً لسيرة علم من أعلام مدينة مسلاتة وأحد طلاب الشيخ إبراهيم المحجوب، الشيخ يوسف بن علي الجعراني خلال القرن الثامن الهجري، محاولاً أن أبين صلته بزاوية المحجوب بمدينة مصراتة، ومؤسسها الشيخ إبراهيم المحجوب، وفق أساليب التحليل التاريخي، والذي أفضى إلى الكشف عن عدة نتائج يمكن إجمالها في الملاحظات التالية:

1- تنتمي أسرة الشيخ يوسف بن علي الجعراني لبلد جعرانة بالمغرب الأقصى.

2- بينت الدراسة أن زمن قدوم الشيخ يوسف بن علي الجعراني إلى ليبيا، هو نفس زمن الشيخ إسحاق إبراهيم المحجوب القاطن بمصراتة ودفينها.

3- بينت الدراسة أن الشيخ يوسف بن علي الجعراني قد حفظ القرآن الكريم وعلومه على يد الشيخ إبراهيم المحجوب بزاويته الشهيرة بمصراتة.

4- بينت الدراسة الارتباطات الوثيقة بين الزوايا بمدينة مسلاتة، وزوايا مدينة مصراتة.

5- بينت الدراسة أن أول من أسس مسجد الثوابت بحي الجعاريين بمدينة مسلاتة هو الشيخ يوسف بن علي الجعراني، بعد عودته من مدينة مصراتة.

6- لاحظت الدراسة اتصال علماء مدينة مسلاتة، بعلماء زاوية المحجوب بمدينة مصراتة، وزاوية عبدالسلام الأسمر بمدينة زليتن.

7- وضحت الدراسة، أن تأسيس زاوية يوسف بن علي الجعراني بمقر المدينة القصبات بحي الجعاريين بعد وفاته بفترة طويلة من الزمن، وسميت باسمه دون غيره تقديراً لدوره الفعال في تحفيظ القرآن الكريم بمسلاتة.

8- أدت النخبة العلمية لأسرة الشيخ يوسف بن علي الجعراني أدواراً علمية مرموقة في مسلاتة وخارجها، تدريساً للعلوم الشرعية وتحفيظ القرآن الكريم إلى يومنا هذا.

9- حرص القائمين على زاوية الشيخ يوسف بن علي الجعراني على المحافظة على استمرار الزاوية بأدوارها العلمية في شتى العلوم.

10- كشفت الدراسة عن الآثار العلمية للشيخ يوسف بن علي الجعراني ومدى تأثره بشيخه إبراهيم المحجوب.

والله ولي التوفيق

قائمة المصادر والمراجع

- ورقة خطية بمكتبة جمال الجعراني، وثائق عائلة آل الجعراني، غير منشورة.
- ورقة خطية من إعداد فضيلة الشيخ عبد الله سالم كشيدان.
- مقابلة أجراها الباحث مع فضيلة الشيخ عمران كشيدان، بتاريخ 2022/1/2م، بقرية الجعاريين بمسلاتة.
- أحمد مصباح المغربي، ومحمد الصغير المجري، زاوية الشيخ إبراهيم المحجوب العلمية التأريخ والأصالة – من التأسيس حتى منتصف القرن العشرين، دراسة وصفية تاريخية، غير منشور.
- محمد مسعود جبران، علي الفقيه حسن – 1898-1985م دراسة في جهوده العلمية والسياسية مع جمع آثاره العلمية المتبيقة، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،2005م.
- غيث عبدالله العربي، مسلاتة في العهد العثماني الثاني 1835- 1911م دراسة في الأوضاع السياسية والإدارية والاقتصادية والثقافية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2010م.

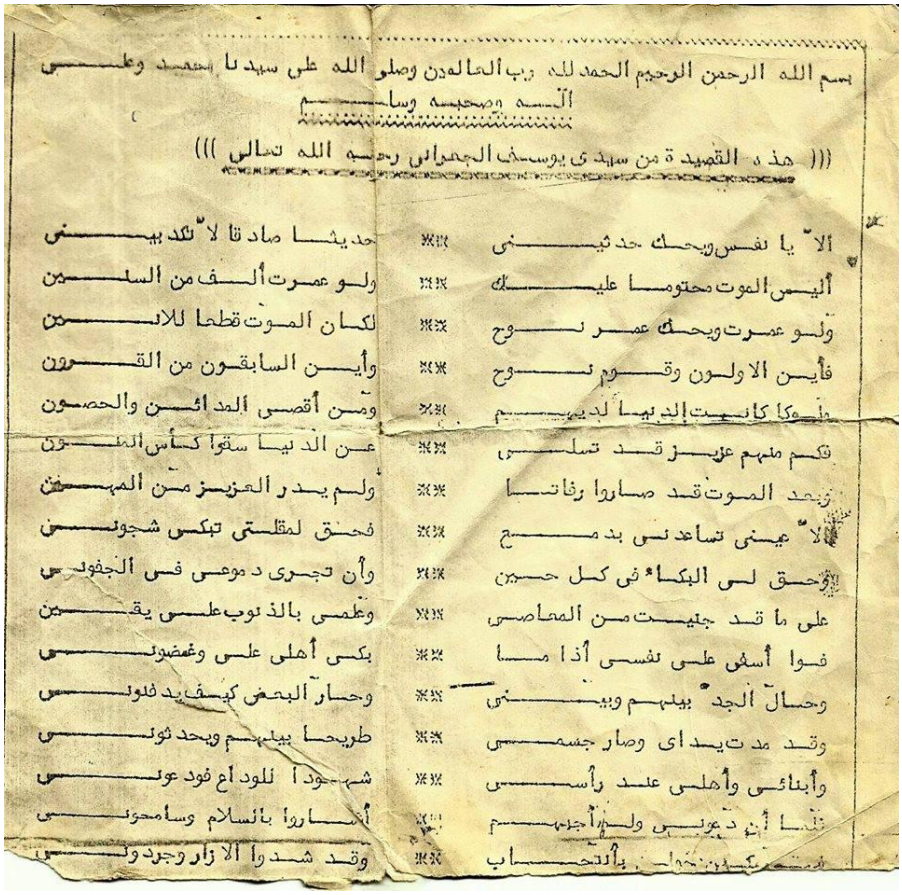

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلو الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم

(((هذه القصيدة من سيدي يوسف الجعراني رحمه الله تعالى)))

ألا يا نفس ويحك حدثيني ** حديثا صادقا لا تكذبيني
أليس الموت محتوما عليك ** ولو عمرت ألف من السنين
ولو عمرت ويحك عمر نوح ** لكان الموت قطعا للامين
فأين الاولون وقوم نوح ** وأين السابقون من القرون
وأين أقصى المدائن والحصون ** ومن أقصى الديار لديهم
فكم منهم عزيز قد تسلى ** عن الدنيا سقوا كأس المنون
ويحد الموت قد صاروا رفاتا ** ولم يدر العزيز من المهين
ألا عيني تساعدني بدمع ** فحق لمقلتي تبكي شجوني
وحق لي البكاء في كل حين ** وأن تجري دموعي في الجفون
على ما قد جنيت من المعاصي ** وعلمي بالذنوب علي يقيني
فوا أسفي على نفسي أذا ما ** بكى أهلي علي وغمضوني
وحال الجد بيني وبينهم ** وحار البعض كيف يدفنوني
وقد مدت يداي وصار جسمي ** طريحا بينهم ويحد ثوني
وأبنائي وأهلي عند رأسي ** شهودا للوداع فودعوني
فلما أن دعوني ولم أجبهم ** أشاروا بالسلام وسامحوني
فصرت بين جدران وأبواب ** وقد شدوا الازار وجردوني

قصيدة الشيخ يوسف بن علي الجعراني الشهيرة الموسومة: (للتذكير بالمصير المحتوم وفراق الدنيا).